



القومتان

(039) سورة الزمر

خطبة جمعة

2026-05-15

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هُداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمةً للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جئات القربات، فجزاه الله عنّا خير ما جزى نبياً عن أمته.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد أيها الإخوة الأكارم: لم يكن يوماً كأى يوم، لم يكن يوماً عابراً عادياً، ذلك اليوم الذي أذن الله فيه لنور الوحي أن يُضيء أرضنا وحياتنا، فنزل الروح الأمين على قلب نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)

(سورة العلق)

يومها رجع نبينا صلى الله عليه وسلم إلى خديجة رضي الله عنها، برحمتها يقول:

{ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الْوَحْيَ فَتَرَةً، فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِّنَ السَّمَاءِ، فَتَرَعْتُ بِصَرِي قَبْلَ السَّمَاءِ،

فَإِذَا الْمَلَأْتُ الَّذِي جَاءَنِي بِجِرَائٍ فَأَعِدُّ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجِئْتُ مِنْهُ، حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: رَمَّلُونِي

رَمَّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ } [المدثر: 2] إِلَى قَوْلِهِ: { وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } [المدثر: 5] {
(صحيح البخاري)

أَقْسَمَ الْمَوْلَى بِأَدَاةِ الْقَلَمِ وَأَثْنَى عَلَى نَبِيِّهِ بِأَعْظَمِ ثَنَاءٍ عَرَفَتْهُ الْبَشَرِيَّةُ:

فَدَثَّرُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِدَثَائِرٍ يَنْدَفَأُ بِهِ، وَجَعَلَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُحْفَفُ عَنْهُ وَتَقُولُ: وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا. وَلَمَّا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ بِالْخَبَرِ، مَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ أَتَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ سُورَةَ الْقَلَمِ، فَأَقْسَمَ الْمَوْلَى بِأَدَاةِ الْقَلَمِ، الَّتِي ذَكَرَهَا فِي سُورَةِ الْعَلَقِ فِي قَوْلِهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4)

(سورة العلق)

أَقْسَمَ بِهَا فَقَالَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2)

(سورة القلم)

وَلِئِنَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ ثَنَاءٍ عَرَفَتْهُ الْبَشَرِيَّةُ، لَمْ يَبْلُغْهُ مَخْلُوقٌ قَطُّ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)

(سورة القلم)

وَبَعْدَ ذَلِكَ بِتَوَالِي الْوَحْيِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُخَاطَبُ الْمَوْلَى جَلَّ جَلَالُهُ نَبِيَّهُ بِمَلَاطِفَةٍ لَا تُخَطِّئُهَا الْعَرَبُ، فَالْعَرَبُ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَتَحَيَّبُوا فِي النِّدَاءِ، نَادَوْا الشَّخْصَ بِهَيْئَتِهِ، أَوْ بِجَلْسَتِهِ، أَوْ بِضَجْعَتِهِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْمَوْلَى جَلَّ جَلَالُهُ مَعَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَادَاهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ (1) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2)

(سورة المزمل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2)

(سورة المدثر)

معنى المُرَّمَّلُ ومعنى المُدَّثِّرُ:

فَأَمَّا الْمُرَّمَّلُ فهو المُتَلَقَّفُ بِنِيَابِهِ مِنَ الْبَرْدِ، أَوْ أَنَّهُ مُتَلَقَّفٌ بِنِيَابِهِ يَرِيدُ النَّوْمَ، وَأَمَّا الْمُدَّثِّرُ فهو من اخْتَدَّ دِثَارًا أَوْ غِطَاءً أَوْ ثَوْبًا يَتَدَفَّأُ بِهِ، وَلَا يَخْفَى أُنَّ الْكَلِمَتَيْنِ تَحْمَلَانِ لَنَا مَعَ مَعْنَى الْفِطْلَانَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَحْمَلَانِ لَنَا أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعْنَى جَدِيدًا مَفَادَهُ، أَنَّ عَهْدَ النَّوْمِ قَدْ انْقَضَى وَأَنَّ وَقْتَ الْقِيَامِ لِلْعَمَلِ (يَا أَيُّهَا الْمُرَّمَّلُ (1) قُمْ) وَ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَكَارِمُ: يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ فِي لَطَائِفِ الْإِشَارَاتِ، انزَعُوا عَنْكُمْ كُلَّ تَعَلُّقٍ بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا، تُعَيِّقُكُمْ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَتَأْسِرُكُمْ عَنِ الْقِيَامِ بِهِ، قَوْمُوا إِلَى رَبِّكُمْ، قَوْمُوا إِلَى خِدْمَةِ عِبَادَةِ قَبْلِ فَوَاتِ الْأَوَانِ، أَيُّهَا الْمُتَزَمِّلُونَ، وَالْمُدَّثِّرُونَ بِنِيَابِهِمْ، أَيُّهَا الْغَارِقُونَ فِي شَهَوَاتِ الدُّنْيَا، قَوْمُوا فَإِنَّ الْأَمْرَ جِدُّ حَاطِرٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَ الْإِقْتِرَابِ قَدْ اقْتَرَبَ.

هُمَا قَوْمَتَانِ:

القومة الأولى قومة الليل:

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَكَارِمُ: هُمَا إِذَا قَوْمَتَانِ، الْقَوْمَةُ الْأُولَى: (قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) وَالْقَوْمَةُ الثَّانِيَةُ: (قُمْ فَأَنْذِرْ) وَلَا غَيْرَ لِمُؤْمِنٍ عَنِ الْقَوْمَتَيْنِ مَعًا، لَا بُدَّ أَنْ تَقُومَ اللَّيْلَ، وَلَا بُدَّ أَنْ تَقُومَ النَّهَارَ، أَمَّا قِيَامُ اللَّيْلِ فَمِنْ أَجْلِ حُسْنِ الصِّلَةِ بِاللَّهِ، الَّتِي تُعَيِّقُكَ فِي نَهَارِكَ عَلَى الْقِيَامِ بِوَجِبَاتِكَ، وَأَمَّا قِيَامُ النَّهَارِ فَمِنْ أَجْلِ تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ، وَمِنْ أَجْلِ الْعَمَلِ لِهَدَايَةِ النَّاسِ، وَمِنْ أَجْلِ اسْتِنْقَازِهِمْ مِنْ عَذَابِ الْإِيمِ.

{ بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدَّثُوا عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ }

(أخرجه البخاري)

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ: لَقَدْ جَاءَ الْأَمْرُ فِي سُورَةِ الْمُرَّمَّلِ بِقِيَامِ اللَّيْلِ مَعَ تَرْتِيلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَلَا غَيْرَ لِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْمُرَّمَّلُ (1) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نَضَعُهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلًا (5)

(سورة المزمل)

ثُمَّ بَيَّنَّ الْمَوْلَى جَلَّ جَلَالُهُ سَبَبَ ذَلِكَ الْأَمْرِ، كَأَنَّ سَائِلًا يَسْأَلُ لِمَاذَا أَقُومُ اللَّيْلَ؟ فَقَالَ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ تَاشِيئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (6)

(سورة المزمل)

بِمَعْنَى أَنَّ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَمَا يَنْشَأُ فِيهَا، مِنَ الْعِبَادَاتِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، هَذِهِ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ، مَا يَنْشَأُ فِي اللَّيْلِ مِنَ عِبَادَةٍ، وَطَاعَةٍ، وَقُرْبٍ، وَدُعَاءٍ، وَمُنَاجَاةٍ، وَتَدَلُّلٍ، وَخُضُوعٍ، وَانكسارٍ عَلَى بَابِ اللَّهِ تَعَالَى (إِنَّ تَاشِيئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) بِمَعْنَى أَنَّهَا أَشَدُّ مَوَاطَأَةً وَمَوَاقِفَةً بَيْنَ السَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، لِأَنَّ الْأَصْوَاتَ قَدْ انْقَطَعَتْ، وَلِأَنَّ الْجَرَكَاتَ قَدْ هَدَّتْ، فَفَرَّغَ الْقَلْبُ مِنْ شَوَاعِلِهِ، فَتَوَاطَأَ الْقَلْبُ مَعَ اللِّسَانِ، وَتَوَاطَأَ السَّمْعُ مَعَ الْبَصَرِ، تَوَافَقًا، فَاصْبَحَ الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ سَالِكًا (إِنَّ تَاشِيئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) وَهِيَ: (أَقْوَمُ قِيلًا) بِمَعْنَى أَنَّهَا أَشَدُّ مَقَالًا، وَأَثْبَتُ قِرَاءَةً، وَأَكْثَرُ اسْتِقَامَةً وَاسْتِمْرَارًا عَلَى الصَّوَابِ، ثُمَّ يَقُولُ الْمَوْلَى جَلَّ جَلَالُهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (7)

(سورة المزمل)

ففي النهار من أعباء القيام بحاجات الدنيا، وتلُمُّس الرزق، والقيام بواجب التبليغ، والدعوة إلى الله، بالحال حيناً وبالمقال حيناً آخر، فالمؤمن يدعو بحاله ولو لم يتكلم بكلمة، وينذر الناس من عذاب الله عندما يكون أميناً، صادقاً مع الناس، وكأنه يُرسل إليهم رسالةً أن: "إذا أردتم النجاة فكونوا صادقين، أمناءً، أعفَّةً"، فيدعو إلى الله بحاله وبمقاله.

لن تستعين على قيام النهار إلا بقيام الليل:

فالمؤمن في النهار له سبْحٌ طويل، له عملٌ طويل، يشغله عن القيام بالنوافل، يشغله رُبما عن الصلوة من خلال القيام بالصلوة، لكنه يبقى موصولاً بالله من خلال الأعمال الصالحة، ولأنَّ النهار فيه من المشاغل، ومخالطة الناس، ودعوتهم إلى الله ما فيه، ولا بُدَّ من الصبر، فيه أذى، وفيه صعوبات، كان لا بُدَّ لك من نصيبٍ من الليل، يُعِينُكَ على نهارك، فلن تستعين على قيام النهار إلا بقيام الليل، هذا القيام في الليل يقوِّبُك على شهوات النهار، ويصرف عنك شهوات النهار، ما أكثر ما في النهار من شهواتٍ تعرض للإنسان، مبلغ لا يُرضي الله، نظره لا يُرضي الله، كلمة لا تُرضي الله، شهوة الكلام، شهوة السمع، شهوة البصر، شهوة المال، وفي النهار شهوات تعرض للإنسان، تريد أن تفتنه عن دينه (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا) كيف تقوى على الشهوات والشبهات؟ بخسن الصلوة بالله (إِنَّ تَأْسِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) (6) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا.

النبى صلى الله عليه وسلم طبَّق قومة الليل أعظم تطبيق:

أُيها الإخوة الكرام: لقد طبَّق النبي صلى الله عليه وسلم القومة الأولى، قومة الليل، طبَّقها أعظم تطبيق، ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها:

{ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَعَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَمْ تَصْنَعْ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ،

وَقَدْ عَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا، فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ

فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ {

(أخرجه البخاري ومسلم وأحمد)

نحن نُصَلِّي لعلَّ الله يغفر لنا ذنوبنا، أمَّا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عُفِّرَ له ما تقدَّم وما تأخَّر، فاستغربت عائشة، لِمَ تُصَلِّي يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا) ألا أشكر الله على عظيم نعمه؟ وهل الصلوة به لمغفرة الذنوب فحسب؟ الصلوة به نوعٌ من أنواع العبودية، ونوعٌ من أنواع الشُّكر، أفانئك لِدَّةِ الوقوف بين يديه إن كان قد عُفِّرَ لي ذنبي؟ هذا حاله صلى الله عليه وسلم، تقول عائشة رضي الله عنها: (فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ) لم يترك القيام، كان يُصَلِّي جالساً إذا تعب.

وهمَّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يوماً بترك الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول:

{ صليت ليلةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل قائماً حتى هممتُ بأمرٍ سوءٍ قلنا: وما هممت به قال: هممت أن أقعد وأدع النبيَّ

صلى الله عليه وسلم {

(أخرجه البخاري ومسلم)

طبعاً يا كرام هذه صلاة الليل، هذه صلواته وحده صلى الله عليه وسلم، لا يُطيل في صلاة الفريضة، بل يدعو إلى التخفيف فيها على الناس، لكن في قيام الليل يُطيل ما شاء الله أن يُطيل.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال صلى الله عليه وسلم:

{ مَنْ قَامَ بَعَثَ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْعَافِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَرَأَ بِالْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْتَدِرِينَ {

(أخرجه أبو داود وابن خزيمة وابن حبان)

لو قمت الليل بركعتين، قرأت فيهما عشر آيات، بعد صلاة العشاء، أو قبل صلاة الفجر، لم تُكْتَبْ عند الله غافلاً، نجوت من الغفلة.
قال: (ومن قام بمائة آية كُتِبَ مِنَ الْغَانِثِينَ) كثيري القيام، والخشوع، والدعاء (ومن قرأ بألف آية كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطِرِينَ) أو المُقْنَطِرِينَ روايتان صحيحتان، أي الذين يطلبون الأجر العظيم الذي يُعَادِلُ القناطير المُقْنَطِرَة من الله تعالى.
يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم:

{ أَنَا نِي جَبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا بَشَيْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْيِبْ مَنْ بَشَيْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَعَمَلْ مَا بَشَيْتَ فَإِنَّكَ مَجْرِيٌّ بِهِ، وَعَلِمَ أَنَّ

شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامَهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِعْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ }

(أخرجه الطبراني والحاكم)

أُثْمَا الإخوة الأكارم: هُما إِذَا قَوْمَانِ، الْقَوْمَة الأُولَى: (فُمُ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلاً) والقَوْمَة الثَّانِيَة: (فُمُ قَانِذِرُ) وَلَا غَنَى لِمُؤْمِنٍ عَنِ الْقَوْمَتَيْنِ مَعاً، لَا بُدَّ أَنْ تَقُومَ اللَّيْلَ، وَلَا بُدَّ أَنْ تَقُومَ النَّهَارَ، أَمَا قِيَامَ اللَّيْلِ فَمِنْ أَجْلِ حُسْنِ الصَّلَاةِ بِاللَّهِ، الَّتِي تُعَيِّنُكَ فِي نَهَارِكَ عَلَى الْقِيَامِ بِوَأَجْبَاتِكَ، وَأَمَا قِيَامَ النَّهَارِ فَمِنْ أَجْلِ تَبْلِيغِ الدَّعْوَة، وَمِنْ أَجْلِ الْعَمَلِ لِهَدَايَةِ النَّاسِ، وَمِنْ أَجْلِ اسْتِنْقَادِهِمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ.

القَوْمَة الثَّانِيَة قِيَامَ النَّهَارِ:

وَأَمَا الْقَوْمَة الثَّانِيَة: قِيَامَ النَّهَارِ، فَجَاءَ الْأَمْرُ بِهَا فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) فُمُ قَانِذِرُ) وَجَاءَتْ مُجَرَّدَةً مِنَ الزَّمَنِ، فِي قِيَامِ اللَّيْلِ: (فُمُ اللَّيْلُ) فَالْعِبَادَاتُ تَرْتَبُطُ دَائِماً بِالْأَوْقَاتِ، الظُّهْرُ لَهَا وَقْتُهَا، وَالْعَصْرُ لَهَا وَقْتُهَا، وَالْوَتْرُ لَهُ وَقْتُهُ، وَالْقِيَامُ لَهُ وَقْتُهُ، فَالْعِبَادَاتُ تَرْتَبُطُ بِالْأَوْقَاتِ، أَمَا الْإِنْذَارُ فَجَاءَ عَائِلاً، فِي كُلِّ وَقْتٍ، لَكِنَّهُ فِي النَّهَارِ أَظْهَرَ، فَسَمِّيَنَاهُ قِيَامَ النَّهَارِ (فُمُ قَانِذِرُ) فِي كُلِّ وَقْتٍ، فِي كُلِّ مَكَانٍ، فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَإِنْ كَانَ الْإِنْذَارُ فِي النَّهَارِ أَكْثَرَ.

إِنَّ مَنْ يَقُومُ اللَّيْلَ أُثْمَا الْكَرَامِ، لَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ النَّهَارَ، إِنَّ مَنْ يُحْسِنُ صَلَاتَهُ بِاللَّهِ سَيَنْدَفِعُ لخدمَةِ عِبَادِ اللَّهِ، وَسَيَسْعَى جَهْدَهُ لِيُذَوِّقَ النَّاسَ مَا ذَاقَهُ مِنَ الْأُنْسِ بِاللَّهِ وَلِذِيذِ مُنَاجَاتِهِ، هَذَا سَيَدُنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُوَصِي سَيِّدَنَا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيَقُولُ: "وَاعْلَمَ أَنَّ لِلَّهِ حَقّاً بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ، وَحَقّاً بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ" هُنَاكَ وَقْتُ لخدمَةِ النَّاسِ، وَهُنَاكَ وَقْتُ لِحُسْنِ الصَّلَاةِ بِاللَّهِ، فَكَانَ عُمَرُ فِيمَا رَوَى عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: لَمَّا سَأَلَهُ رَجُلٌ أَلَا تَتَام؟ كَانَ يَقُولُ: "إِنِّي إِنْ نَمْتُ لَيْلِي كُلَّهُ أَضَعْتُ نَفْسِي أَمَامَ رَبِّي، وَإِنْ نَمْتُ نَهَارِي أَضَعْتُ رَعِيَّتِي"، فَكَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَقُومُ النَّهَارَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَا بُدَّ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَلَوْ بِرَكَعَاتِ الْوَتْرِ وَلَا بُدَّ مِنْ قِيَامِ النَّهَارِ بِخدمَةِ النَّاسِ:

وَهَذَا مَا تُسَمِّيهِ أُثْمَا الْكَرَامِ، بِوَأَجِبِ الْوَقْتِ أَوْ عِبَادَةِ الطَّرْفِ، فَلَا بُدَّ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَلَوْ بِرَكَعَاتِ الْوَتْرِ أُثْمَا الْكَرَامِ، وَلَوْ أَنَّ يُؤَخَّرَ الْإِنْسَانُ الْوَتْرَ فَيُوتِرُ بِثَلَاثٍ، يُثْمَثُ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ، فَالْوَتْرُ بِلَا خِلَافٍ جُزْءٌ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَمَنْ زَادَ فَهُوَ خَيْرٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَلَوْ بِرَكَعَاتِ الْوَتْرِ، وَلَا بُدَّ مِنْ قِيَامِ النَّهَارِ بِخدمَةِ النَّاسِ، فَلَا يَحِلُّ اللَّيْلَ إِلَّا بِمُنَاجَاتِهِ، وَلَا يَحِلُّ النَّهَارَ إِلَّا بِخدمَةِ عِبَادِهِ.

لَا يَحِلُّ لَيْلَ الْمُؤْمِنِ إِلَّا بِمُنَاجَاةِ اللَّهِ، وَلَا يَحِلُّ نَهَارَهُ إِلَّا بِخدمَةِ عِبَادِ اللَّهِ، وَمَنْ لَمْ يَدْفَعِهِ قِيَامَ اللَّيْلِ إِلَى قِيَامِ النَّهَارِ كَمَا يَرِيدُ اللَّهُ، فَلْيُرَاجِعْ قِيَامَهُ، فَلَعَلَّهُ قَرَأَ الْآيَاتَ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُمْ بِهَا حَقَّ الْقِيَامِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) فُمُ قَانِذِرُ (2) وَرَبِّكَ فَكْبِّرُ (3)

(سورة المدثر)

تعظيم الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَبَاتَكَ فَطَهَّرُ (4)

(سورة المدثر)

كِنَايَةٌ عَنِ طَهَارَةِ الثُّوبِ، وَطَهَارَةِ النَّفْسِ مِنَ الْمَعَاصِي، وَالْأَثَامِ، وَالشَّهَوَاتِ، وَطَهَارَةِ النَّبِيَّةِ مِنْ عَدَمِ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى، طَهَارَتِهَا مِنَ الرِّبَا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالرُّجْزَ قَاهُجْرًا (5)

(سورة المدثر)

اترك المعاصي والآثام، فلا تطهارة للقلب إن كان مُتعلِّقاً بالأوثان والشهوات، لا تطهارة له إلا بنبذ المعاصي والآثام.

لا تَمُنَّ عَلَى اللَّهِ طَاعَتِكَ وَلَا تَمُنَّ عَلَى النَّاسِ خِدْمَتِهِمْ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَمُنَّ تَسْتَكْبِرًا (6)

(سورة المدثر)

فإن وَقَّكَ اللهُ تعالى إلى عملٍ صالحٍ، إلى قيامٍ ليلٍ، إلى دعوة الناس إلى الله تعالى، فلا تَمُنَّ عَلَى اللَّهِ طَاعَتِكَ، وَلَا تَمُنَّ عَلَى النَّاسِ خِدْمَتِهِمْ، تريد أن يُكَافِئوكَ عليها، تريد الإكثار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَمُنَّ تَسْتَكْبِرًا (6) وَلِرَبِّكَ قَاضِيًا (7)

(سورة المدثر)

لا بُدَّ أن تستعين بالصبر في قيام الليل وقيام النهار، بالصبر على طاعته، وعن معصيته، وعلى قضائه وقدره، فصلاح الصبر ينبغي أن يُرافقك، في قيام الليل وفي قيام النهار، في قيام الليل صبرٌ على الطاعة، وفي قيام النهار صبرٌ على الأذى، الذي يلحق القائم بأمر الله تعالى. أُنْهَا الإخوة الكرام: إن وَقَّكَ اللهُ لعملٍ صالحٍ فلا تَمُنَّ عَلَى النَّاسِ طَاعَتِكَ، يقول ابن عطاء الله السكندري: <>. فأنت عندما تفعل معروفًا، إنما أجراه الله على يديك، وهو صاحب الفضل فلا تَمُنَّ عَلَى النَّاسِ فِعْلًا تفعله.

أيام العشر من ذي الحجة فرصة عظيمة لتحقيق القومتين معاً:

أُنْهَا الكرام: نحن مُعَلِّون بعد أيامٍ قليلة، على خير أيام الدنيا، أيام العشر من ذي الحجة، وهذه فرصة عظيمة لتحقيق القومتين معاً، قيام الليل وقيام النهار، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ ما من أيامٍ العملُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ }

(أخرجه البخاري)

فتحقيق القومة الأولى في هذه الأيام، يكون بالإكثار من النوافل صلاةً وصياماً.

{ صيامُ يومِ عَرَفَةَ إِنِّي أُحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ }

(أخرجه مسلم)

كل هذه النوافل، قيام الليل في هذه الأيام العشر، زيادة في الخير والأجر، كلها أعمالٌ صالحة، قراءة القرآن، هذا من القومة الأولى، من حُسن الصلة بالله، يقول صلى الله عليه وسلم في هذه الأيام:

{ مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ }

{

(أخرجه الطبراني والبيهقي وأحمد)

(التَّهْلِيلُ) لا إله إلا الله (والتَّكْبِيرُ) الله أكبر (والتَّحْمِيدُ) الحمد لله، وهذا كله يُحَسِّنُ صِلَةَ الْعَبْدِ بِخَالِقِهِ، كَلِمَةُ قِيَامٍ بِحُسْنِ الصِّلَةِ بِاللَّهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَتَحَقَّقُ الْقَوْمَةُ الثَّانِيَةُ، بِاسْتِمْرَارِ هَذِهِ الْأَيَّامِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، بِالْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ، بِالصَّدَقَةِ، بِإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَتَوْجُّهُهَا الْقَادِرِ بِالْأَضْحِيَّةِ فِي يَوْمِ النَّحْرِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (2)

(سورة الكوثر)

هذه القومة الأولى (وأنحر) بإطعام عباده، هذا قيام النهار.

مَا يُسْنُّ لِمَنْ أَرَادَ الْأَضْحِيَّةَ:

أُتِيَهَا الْكِرَامَ: يُسْنُّ لِمَنْ أَرَادَ الْأَضْحِيَّةَ، يُسْنُّ وَلَا يَجِبُ:

{ مَنْ كَانَ لَهُ ذَبْحٌ يَذْبَحُهُ فَإِذَا أَهْلَ هَلَالُ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا حَتَّى يُصَحَّحِيَ }

(صحيح مسلم)

وهذا خاصٌّ بالمُصَحَّحِي فَقَطْ، وَلَيْسَ بِأَهْلِ بَيْتِهِ، دَافِعٌ ثَمَنَ الْأَضْحِيَّةِ يُسْنُّ لَهُ أَنْ لَا يَأْخُذَ مِنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ، تَشْبَهُاً بِالْمُحْرَمِ الَّذِي يَمْتَنِعُ عَنِ الشَّعْرِ وَالْأَظْفَارِ وَأَشْيَاءٍ أُخْرَى، أَمَّا الْمُصَحَّحِيُّ فَيَمْتَنِعُ فَقَطْ عَنِ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ، مِنْ لِحْظَةِ دُخُولِ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى أَنْ يَذْبَحَ أَضْحِيَّتَهُ.

النبي الكريم قام بواجب قيام النهار وقيام الليل أعظم قيام:

أُتِيَهَا الْكِرَامَ، أُتِيَهَا الْأَحْبَابَ: لَقَدْ قَهَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَمُ قَانِذِرْ) وَ (فَمُ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا) أَعْظَمَ قَهَمٍ وَأَعَمَقَ قَهَمٍ، فِقَامٌ بِاللَّيْلِ، وَقَامٌ بِالْإِنْذَارِ وَالْبِشَارَةِ، وَحَمَلٌ أَعْبَاءَ الدَّعْوَةِ أَعْظَمَ قِيَامٍ، حَتَّى قَالَ لَهُ رَبُّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَعَلَّكَ تَاجِعٌ تَفْسَكَ عَلَى آتَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)

(سورة الكهف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقَمَنْ رُبَّنَّ لَهُ سُوءٌ عَمَلِهِ قَرَأَهُ حَسَنًا □ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ □ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
بَصَّتُّعُونَ (8)

(سورة فاطر)

قام بواجب قيام النهار أعظم قيام، ليستنقذ الناس من الضلالة، كما قام بواجب قيام الليل أعظم قيام. أُنْهَا الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أَنَّ مَلَكَ الموت قد تخطَّأنا إلى غيرنا وسيتخطَّى غيرنا إلينا فلنتخذ جذرنا، الكَيْس من دان نفسه وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمتَّى على الله الأمانى، واستغفروا الله. الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات. اللهم برحمتك عَمَّنَا، واكفنا اللهم شرَّ ما أهُمَّنَا وأَعَمَّنَا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسُّنَّةِ تَوَقَّنَا، نلُفَاك وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا. وارزقنا اللهم حُسْنَ الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلُفَاك وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا، أَنْتَ حَسْبُنَا عَلَيْكَ اتَّكَلْنَا. اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وما قَرَّبَ إِلَيْهَا من قولٍ وعملٍ، ونعوذ بك من النار وما قَرَّبَ إِلَيْهَا من قولٍ وعملٍ. اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ، وَأَنْ لَا تَشْغَلْنَا بِسِوَاكَ، وَأَنْ تَجْمَعَنَا فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِكَ بِحَبِيبِكَ وَمُصْطَفَاكَ. اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ لِأَهْلِنا المُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فِي عِزَّةٍ وَفِي فِلَسْطِينَ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يَذْكَرُ فِيهِ اسْمُكَ، نَصْرًا مُؤَزَّرًا وَفِرْجًا عَاجِلًا، نَسْأَلُكَ أَنْ تُطْعِمَ جِيعَهُمْ، وَأَنْ تَكْسُو عُريَانَهُمْ، وَأَنْ تَرْحَمَ مُصَابَهُمْ، وَأَنْ تُؤْوِي غَرِيبَهُمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ لَنَا فِي ذَلِكَ عَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَدُعَاءً صَادِقًا، وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا تَقْصِيرَنَا فَإِنَّكَ أَعْلَمُ بِحَالِنَا، نَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَنْ تُهْلِكَ أَعْدَاءَ الْمُسْلِمِينَ. اللهم مَنْ أَرَادَ بِالإِسْلَامِ وَدِيَارِهِ وَأَهْلِهِ خَيْرًا فَوَقِّفْهُ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَمَنْ أَرَادَ بِهِمْ غَيْرَ ذَلِكَ فَخْذِهِ أَحْذِ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ، واجعله عبرةً لِمَنْ يَعتَبِرُ. اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تُبْرِمَ لَهُذِهِ الأُمَّةَ أَمْرَ رِشْدٍ، يُعْزِّزُ فِيهِ أَهْلَ طَاعَتِكَ، وَيُهْدِي فِيهِ أَهْلَ عَصِيانِكَ، وَيؤمِّرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ، إِنَّكَ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. نَسْأَلُكَ لِبِلَادِنَا أَمْنًا وَأَمَانًا، وَلِلْقَائِمِينَ عَلَيْهَا سِدَادًا وَرِشَادًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.